النّصّ من إقصاء المؤلّف إلى شطط التّأويل

Text from excluding the author to the irrationality of interpretation.

الطّالب الباحث: محمد خديم khedmoha@gmail.com

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم

المشرف:أ/د– جلول بوطيبةboutaib_rida@hotmail.com

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم

تاريخ الاستلام: 2019/10/30 تاريخ القبول:2019/12/29 تاريخ النشر: 2019/12/31

ملخص: تهدف هذه الدّراسة إلى مناقشة موضوع إقصاء المؤلّف وتحييده عن نصّه، وإعطاء السّلطة للقارئ وما يترتّب عنها من شطط في التّأويل، فالقارئ يستخدم فهمه للكشف عن المعاني المخبوءة في النّصّ/ الخطاب المفتوح على أفاق التّأويل.وقد اعتمدنا في تحليل هذا الموضوع على شقّين هما: إقصاء المؤلّف، وشطط التّأويل وخرجنا بنتائج مفادها أنّ تغييب المؤلف وقتله ،والاعتماد على قصدية القارئ بدلا من قصدية المؤلف هو قتل للنّصّ بطريقة غير مباشرة والابتعاد عن حقيقة المعنى الموجود في هذ النّصّ.كما أنّ تجريء المناهج النقدية المعاصرة المتلقّي على التّفسير والتّأويل حتّى ولو كان غير مؤهل بدعوى احترامه جعل النّصّ منفتحا على التّأويل اللاّمتناهي واللايقين واللامعنى ممّا يعد قتلا للمؤلّف والنّصّ والقارئ دفعة واحدة.

كلمات مفتاحية: المؤلّف، النّصّ، المتلقّي، النّصّ، موت المؤلّف، القراءة، التّأويل، المعنى.

Abstract:

The target of this study is to discuss the issue of excluding the author and neutralizing him from his text, and to give authority to the reader and the resulting abuse of the text, the reader uses his understanding to reveal the meanings hidden in the text/discourse open to the horizons of interpretation. In the analysis of this subject, we relied on two aspects: The removal of the author, the irrationality of interpretation and the conclusion that the absence and killing of the author and the reliance on the reader's intention rather than the author's intention is to kill the text indirectly and to move away from the reality of the meaning found in this text. Even if he was unqualified on the grounds of respect, he made the right one open to infinite, uncertain and meaningless relief, which is the killing of the author, the text , and the reader at once

Keywords: Author,recipient, text,death of the author, reading , interpretation, meaning.

المؤلف المرسل: محمد خديم، **الإيميل:** khedmoha@gmail.com

تقديم:

أصبح الحديث عن النّصّ اليوم هو الحديث عن كلّ ما يحيط به من ظروف وملابسات سواء تعلّق الأمر بالمؤلّف المنتج ، أو بظروف الإنتاج وسياقاته المكونة له، أو بالقارئ الّذي يعيد– عبر آلية القراءة – إنتاج ما أنتجه المؤلّف. فالنّصّ يتحرّك في فلك فكريّ ومعرفيّ متنوعان.

لكن دراسة النّصّ مرّت بمراحل عبر الزّمن حيث أصبح هذا النّصّ يواجه ما يعرف بظاهرة انتقال السّلطة وتحوّلها من الكاتب المنشئ المبدع المؤلّف إلى المتلقّي المتأوّل الّذي أصبح بدوره يعدّ خالقا جديدا للنّصّ ومنتجا لمعناه بعد القراءة أي منتجا جديدا بالقراءة.

إنّ هذه الظّاهرة الّتي تعمل على نقل السّلطة من قطب إلى قطب له مسوغاته ومسبباته في المجتمع والفكر بصورة عامة، فأصل الفكرة غربيّ، ونزع السّلطة من المؤلّف الموجّه ، أو النّاقد، أو الآمر الّذي يعدّ صاحب القيمة هو بمثابة تحييد النّصّ عن قيّمه الدّينيّة والقضاء على قدسيّته، أو قيّمه الأخلاقيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة وهلمّ جرّا، ولا يكون هذا التّحييد

إلاّ بإعلاء رايات مناهج تصبو إلى ذلك مثلما أعلنت البنيويّة على إقصاء المؤلّف وقتله وتمويته، أو ما أعلنته مناهج ما بعد البنيويّة بتسليم السّلطة كلّية إلى القارئ وتسليمه زمام أمور النّصّ الّذي سيخضع للقراءة والتّحليل.

سنتطرّق في بحثنا هذا إلى عنصرين مهمّين هما: **إقصاء المؤلّف وتحييده عن نصّه** (موت المؤلّف)، **وسلطة القارئ و شطط التّأويل** المنجرّ عنه، لأنّه ليس ثمّة رأي إلاّ ما يراه القارئ في هذا النّصّ المقروء.

النّصّ وإقصاء المؤلّف:

مرّ النّصّ الأدبي في دراسته وتحليله بثلاث مراحل ركّزت كلّ مرحلة على قطب من أقطاب العمل الأدبيّ المتمثّلة في المؤلّف، النّصّ، والقارئ. ففي المرحلة الأولى الّتي تسيّدت فيها المناهج التّاريخيّة والنّفسيّة والاجتماعيّة كان الاهتمام فيها بالكاتب المؤلّف، ثمّ تلتها مرحلة المناهج النّصوصيّة الّتي اهتمت بالنّصّ، أمّا المرحلة الثّالثة هي نظريات التّلقي والاستقبال الّتي ألقت بكلّ اهتماماتها على المتلقّي القارئ على حساب القطبين السّابقين. [1] لكن الرّابط بين هذه المناهج كلّها هو النّصّ نفسه الّذي يعدّ هدف الدّراسة وغايتها.

أفرطت بعض المناهج النّقديّة– النّفسيّة والتّاريخيّة والاجتماعيّة– في الاعتماد على السِّياق الخارجيّ – من مؤلّف وتاريخٍ ومجتمع — وخلقت ردود فعل واسعة ضدّها "فجاءت مدرسة النّقد الحديث لتنظر إلى النّصّ على أنّه عمل مغلق وعزلته عن مؤلّفه وعن عصره.وجعلت العمل وحدة فنّية مستقلّة تمتلك خصائصها الذّاتية الّتي لا تشترك فيها مع أيّ عمل آخر حتّى وإن كان من المؤلّف نفسه"[2] حيث "مارست البنيويّة عملية إقصاء عنيفة لكلّ شيء ممّا سمّته الخارج بما في ذلك المؤلّف نفسه، اعتمادا على ما سمّته بنية النّصّ ممّا حوّل هذا النّصّ إلى هيكلٍ مادّيّ خال من روح الأدب وإنسايته، وفرديته، ومضمونه، ورسالته." [3] فقد حدّدت البنيويّة مساراتها التّحليليّة من خلال التّعامل مع الدّاخل النّصّيّ على حساب الخارج السّياقيّ، بقصد الكشف الدّلاليّ عن فضاءات المعنى الّتي عدّتها خارجة عن نطاق المؤلّف وثقافته وبيئته، وأصبح منظورها للوجود لا علاقة له بكينونة الإنسان التّاريخيّة والاجتماعيّة، بل بالعلاقات اللّغويّة الشّكليّة المكوّنة للنّصّ الّذي لا تفكّ شفراته والعلاقات الّتي تربط بين أجزائه إلا بمعاملته كبنية مستقلّة بذاتها معزولة عن مؤلّفها ومجتمعه.

ربّما يجدر بنا التّفصيل أكثر في هذا الأمر بالتّمثيل والتّطرّق إلى أحد رموز ورواد البنيويّة النّاقد الفرنسي "**رولان بارت** Roland Barthes " الّذي منح النّصّ استقلالا تامّا عندما أعلن في مقالته الشّهيرة سنة – 1968 – **موت المؤلّف**[4]، أي عدم التّركيز عليه ، أو القصد من النّصّ ، مادام الكاتب ليس موجودا بيننا لأنّه خارج اللّعبة "وأصبح استبعاد المؤلّف حتمية أكيدة تقتضيها آلية اللّغة ومسار دوالها"[5] فإقصاء المؤلّف وعزله عن نصّه أدّى إلى طمس السّلطة الّتي كان يتمتع بها وجُرِّد منها تماما، وصار هذا المؤلّف تحت هيمنة الكتابة والقارئ لأنّ "اللّغة...هي الّتي تتكلّم وليس المؤلّف؛ أن أكتب معناه أن أبلغ، عن طريق محو أولي شخصي...، تلك النّقطة الّتي لا تعمل إلاّ اللّغة وليس أنا"[6] إذ لم يعد المؤلّف موجودا بمجرّد أن يفرغ من نصّه، وتحلّ محلّه اللّغة؛ وهو طرح كان أوّل المتنبئين به "**ملارمي Mallarmé**" حسب رأي "**بارت Barthes** "، فقد "كان "**ملارميه Mallarmé**" هو أوّل من رأى في فرنسا وتنبّأ بضرورة وضع اللّغة نفسها مكان ذاك الّذي اعتبر، إلى هذا الوقت، مالكا لها. فاللّغة ، بالنّسبة إليه كما هي الحال بالنّسبة إلينا، هي الّتي تتكلّم وليس المؤلّف، وبهذا يصبح معنى الكتابة، هو بلوغ نقطة تتحرّك اللّغة وحدها، وليس الأنا وفيها تنجز الكلّام." [7] فالنّصّ لا يقول شيئا عن مؤلّفه ، ولا هو تعبير عنه، ولا هو انعكاس لشخصيته.وقد أشار "**بارت**

Barthes " أيضا إلى جهود "**بول فاليري Paul Valéry**" الّتي جاءت مكمّلةً لآراء "**ملارمي Mallarmé**"، حيث كان "**فاليريValéry** " "يضع المؤلّف موضع سخرية، وأنّ اللّجوء إلى دواخله خرافة، ولا بدّ من التّركيز على البنيّة اللّغويّة لعمل المؤلّف وإقصائه عنها." [8] سوّغ "**بارت Barthes** " قتله لمؤلّف النّصّ بذكره لسابقيه وسبّاقيه إلى هذا الطّرح باستشهاده بآراء "**ملارمي Mallarmé**" و"**فاليريValéry** " في مسألة تمويت المؤلّف وتعويضه باللّغة.

لقد كشف "**بارت Barthes** "، عن نزعته الأيديولوجية في مناهضة القيم ومحاولة طمس حضور المؤلّف أثناء تحليل النّصوص حتّى أنّه نعته بلفظ ذاك وكأنّه لا يستطيع أن يذكره أو يتلفّظه، بل بالغ أكثر من ذلك لمّا قال :" فالأنا الّتي تكتب النّصّ لن تكون مطلقا، هي أيضا، سوى أنا من ورق." [9] لقد جرّد "**بارت Barthes** " الذّات المؤلّفة من ذاتيتها وجعلها مجرد أنا ورقية وفقط.

أعطى "**بارت Barthes** " اهتمامه بالكتابة دون الذّات الكاتبة حين قال:" الكتابة هدم لكلّ صوت، ولكلّ أصل. فالكتابة هي هذا الحياد، وهذا المركّب، وهذا الانحراف الّذي تهرب فيه ذواتنا. الكتابة، هي السّواد والبياض الّذي تتيه فيه كلّ هوية، بدءا بهوية الجسد الّذي يكتب." [10] يريد "**بارت Barthes** " القضاء نهائيّا على المؤلّف لمّا جعل الكتابة نقض وهدم لكلّ صوت، ونقض لكلّ أصل(بداية) حتّى يقطع الصّلة بين النّصّ ومؤلّفه، ولم يعد هذا الأخير هو مصدر الإنتاج، أو المالك للّغة، أو صاحب الصّوت الموجود خلف العمل الأدبي. فَهَمُّ "**بارت Barthes** " أن" يفقد الصّوت مصدره، ويأخذ المؤلّف في الموت، وتبدأ الكتابة." [11] لقد أكّد "**بارت Barthes** " على أنّ الكتابة هي نهاية حقيقية للمؤلّف.

في سياق ذي صلة أكّد موت المؤلّف أيضا بقطب آخر من أقطاب العمل الأدبي لمّا قال:" لقد أصبحنا نعلم أنّ الكتابة لا يمكن أن تتفتّح على المستقبل إلاّ بقلب الأسطورة الّتي تدعمها: فميلاد القارئ رهين بموت المؤلّف"[12] لقد عمل "**بارت Barthes** " جاهدا على تأكيد موت المؤلّف وإقصائه أثناء مباشرة النّصّوص بالدّراسة والتّحليل بعدّة ألفاظ ومفاهيم للعمل الأدبيّ، فتارة أكّده ببداية الكتابة، وتارة أكّده بميلاد القارئ، وها هو يؤكّد تارة أخرى على قتله عندما عدّ النّصّ ملكا لقارئه أكثر ممّا هو ملك لمؤلّفه في نصّ قوله: " إنّ النّصّ ليصنع من الآن فصاعدا ويقرأ بطريقة تجعل المؤلّف عنه غائبا على كلّ المستويات... لقد دفن النّاسخ الحديث المؤلّف"[13]. فما سلبه " **بارت Barthes** " من صدر الكاتب، أفرغه في حجر القارئ دفعة واحدة وجعله صاحب النّصوص، ومالكها المتصرّف فيها، إليه ينتهي قديمها وجديدها[14]، فموت الكاتب هو الثّمن الّذي تتطلّبه ولادة القراءة[15] تلك نظرة "**بارت Barthes** " للكاتب المؤلّف وتحييده عن النّصّ الّتي وصفها "**مونسي حبيب**" بالتّهريج النّقديّ الحداثيّ ومنتهى السّخرية بعقول النّاس والأجيال[16]. نعم هذه هي إيديولوجية " **بارت Barthes** " اتجاه المؤلّف الّذي لا أساس له من الوجود عند دراسة النّصّ واستكناه خباياه ومعانيه. لقد حاول القضاء على المؤلّف بالكتابة وبالقارئ وبالقراءة، كلّها تعد وسائل لتحليل النّصوص إلاّ صاحبه الفعلي ومنتجه.

لكنّ التّساؤل الّذي يراودنا–لسنا ندري هل راود "**بارت Barthes** " أم لا ؟!" – ونحن نتعامل مع هذه الآراء **البارتية** إذا كان المؤلّف ليس هو الأب الشّرعيّ للنّصّ، يفكّر ويعيش ويعاني من أجله إلى حين ولادته، فما مصدر اللّغة أو الكتابة الّتي يتألف منها النّصّ؟

مسوغات موت المؤلّف لدى " بارت Barthes ":

أراد " **بارت Barthes** " أن يؤسّس لنظرية **موت المؤلّف** وإبعاده عن النّصّ أثناء الدّراسة والتّحليل للأسباب الآتي ذكرها:

1. إنّ "نسبة النّصّ إلى مؤلّفه معناها إيقاف النّصّ وحصره وإعطاؤه مدلولاً نهائياً، إنّها إغلاق الكتابة." [17]يريد من قتل المؤلّف الوصول إلى لا نهائية الدّلالة وبالتّالي الطّعن في مقاصد النّصوص خاصّة المقدّسة منها.

2. إنّ النّصّ حسب " **بارت Barthes** " " لا ينشأ عن رصف كلّمات تولّد معنى وحيدا،معنى لاَهُوتِيا إذا صحّ التّعبير (هو رسالة المؤلّف الإله)؛ وإنّما هو فضاء متعدّد الأبعاد،تتمازج فيه كتابات متعدّدة وتتعارض، من غير أن يكون فيها ما هو أكثر من غيره أصالة :النّصّ نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافيّة متعدّدة...تدخل في حوار مع بعضها بعض، وتتحاكى وتتعارض؛ بيد أنّ هناك نقطة يجتمع عندها هذا التّعدّد، وليست هذه النّقطة هي المؤلّف،كما دأبنا على القول، وإنّما هي القارئ." [18] فكلّ نصّ يحتوي على معان وثقافات مختلفة،ثقافات تتحاور وتتصادم مع بعضها بعض في العالم النّصّيّ المملوء بالبياضات الّتي يتعسّر على المؤلّف أن يملأها ولا حتّى المتلقي الواحد يستطيع ذلك.

3. لا يعدو المؤلّف أن يكون سوى ناسخ لنصوص وكتابات أخرى، والنّصّ ما هو إلا حصيلة مجموعة سابقة من النّصوص المختزلة في ذاكرة المؤلّف الّتي أعاد إنتاجها من جديد، وعليه أصبح المؤلّف ليس تلك الذّات المبدعة، وليس ذلك الفنّان العبقريّ المتميّز، وإنّما هو جامع أو لامٌ لكتابات قد مرّت به. [19] عند العودة إلى النّصّ يجب التّعامل مع اللّغة واللّغة فقط.

إنّ "فكرة موت المؤلّف على هذا النّحو الّذي يقدمها " **بارت Barthes** "، لو صحت – وما هي عندنا بصحيحة – تجعل الدّلالة دائما في حالة التباس وغياب."[20] وهذا الطرح يتنافى مع ثقافتنا العربية ونصوصنا الدّينيّة المقدّسة، إذ " لابدّ لأيّ نصّ شرعيّ أن يكون له كاتب معروف باسمه ولقبه وثقافته وعصره وذلك لكي يسهل التّعامل معه وليس هناك نصّ من دون كاتب هذه بديهيّة منطقيّة: العدم لا يتنج وجودا." [21] فليس هناك نصّ يتخلّق من العدم، ولابدّ له- النّصّ – أن يرتبط بمؤلّفه ارتباطا وثيقا سواء أكان هذا المؤلّف فرديا أم جماعيا، معروفا أم مجهولا، وبناء على هذا تغدو مقولة موت المؤلّف قضية بحاجة إلى إعادة نظر، وإعادة قراءة في ضوء معطيات النّقد الحديث. [22] وهذا تأكيد على انتماء النّصّ لمؤلّفه وليست مقولة موت المؤلّف إلاّ مغالطة نقدية تجنح إلى قطع الصّلة بين المبدعين وأعمالهم.وتبقى نسبة النّصّ إلى القارئ وأنّ الأوّل ملك للثّاني أكثر ممّا هو ملك لمؤلّفه ضرب من المجاز.

سلطة القارئ وشطط التّأويل:

إنّ التّأويل هو " فهم يحدث بمقتضاه امتلاك المعنى المضمر في النّصّ من جهة علاقاته الدّاخلية وكذا علاقاته بالعالم والذّات"[23] فعمل التّأويل يكمن في فحص النّصوص داخليا، وربطها بسياقها العام خارجيا. [24] يعني الاستعانة بالمعنى الظاهر من أجل استحضار المعنى الضمني، فهو " المعنى الغائم المستور الّذي نحلم به ونشتاق إليه"[25] أو بتعبير آخر هو آلية استكناه المعاني القابعة وراء ظلال اللّغة ورموزها.

إذا كان المعنى في النّصّ هو بمثابة الرّوح للجسد، وحياته واستمراريته ببقاء روحه، فماذا سيبقى للنّصّ إذا أزهقت روحه(معناه)؟هل سيبقى النّصّ نصا؟ أم أنه يغدو مجرد رسم على ورقة لا حياة فيه ولا معنى؟ ثم أين يكمن معناه أفي

قصد المؤلّف، أم في لغة النّصّ، أم فيما يتوصّل إليه القارئ وينتجه؟ وهل هذا المعنى واحد أم متعدّد؟ وإذا كان متعدّدا ، هل هناك حدود لما يمكن للنّصّ أن يتضمّنه من معان؟ وهل ثمّة معنى حقيقيّ من هذه المعاني المتعدّدة في النّصّ؟ وكيف يكون التّأويل؟وكيف يكون للنّصّ معنى لدى القارئ؟

إنّ مقولة موت المؤلّف أنتجت قضية أخرى وهي قضية انفلات المعنى الّذي أصبح أمرا صعب المنال[26] لأنّ الإعلان عن موت المؤلّف وإقصائه في الحقيقة ما هو إلا خيار يمنح التّأويل إمكانية تعدّد المعنى. فقد أعطى نقّاد البنيويّة وما بعدها للقارئ السّلطة الكاملة في تأويل النّصوص بما يتجاوز في بعض الأحيان البنية الدّلاليّة الواضحة للنّصّ، بمعنى أنّ موت المؤلّف هو الشّرط الوحيد لولادة القراءة أو على حدّ تعبير " **بارت Barthes** " "ميلاد القارئ رهين بموت المؤلّف"[27] ممّا يعني أنّ قتل المؤلّف عَمَل على تحرير القارئ وساعده على الانغماس في متع التّأويل[28] والسّقوط في الشّطط في كثير من الأحايين.فقد دارت دورة الزّمن متوقفة عند القارئ الّذي حمل لواء القراءة والتّأويل من أجل الوصول إلى ظلال النّصّ وما يحمله من معان، لأنّه لا نصّ بلا قراءة ولا قراءة بلا قارئ، ذلك القطب الّذي انتقلت إليه السّلطة وأصبح المهيمن على النّصّ قراءة وإنتاجا للمعنى.

وقد ميّز **الدكتور محمد بوعزة** بين نوعين من التّأويل هما:

1. **التّأويل المطابق:** يعنى بالكشف عن الدّلالة الّتي يقصدها الكاتب/المؤلّف أي يتمّ التّركيز في هذا النّمط على قصديّة الكاتب، أو على الدّلالة الأحادية والأصليّة للمؤلّف.[29] والمراد من التّركيز على هذه القصديّة مطابقتها مع قصديّة النّصّ حتّى يفهم معناه.ويمثّل هذا النّوع من التّأويل "**فريديريك شلاير ماخر "Frieddrich Schleirmacher**" ، و "**ويلهام ديلتاي Wilhem Dilthey**" ويتّفق أصحاب هذا التّأويل إلى ردّ المعنى إلى المؤلّف في الوقت الّذي تجعل عمل المؤلّف لا يختلف عن عمل المؤوّل. [30] فالتّأويل هو ملك للمؤلّف وليس للقارئ، وفعل التّأويل هو نفسه فعل التّأليف. وقد ظل هذا النّوع من التّأويل– حسب "**إيكو Eco**"[31]– الّذي منح الأولوية لمقاصد المؤلّف محصورا في إطار نزعة نفسانية حتّى وإن لبس لبوس حوار بين الذّاتيات المتفاعلة. وقد خلّف لنا التّاريخ – حسب "**إيكو Eco**" تصورين مختلفين للتّأويل." فتأويل نصّ ما ، حسب التّصوّر الأوّل، يعني الكشف عن الدّلالة الّتي أرادها المؤلّف، أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعيّ، وهو ما يعني إجلاء جوهرها المستقلّ عن فعل التّأويل.أمّا التّصوّر الثّاني فيرى، على العكس من ذلك، أنّ النّصوص تحتمل كلّ تأويل." [32]

يجدر بنا التّنويه هنا أنّ "**فريديريك شلاير ماخر Frieddrich Schleirmacher**" يميّز بين منهجين في هذه الممارسة التّأويليّة هما :

1. منهج قواعد اللّغة الّذي يعالج النّصّ أو أيّ تعبير كان انطلاقا من لغته الخاصة، أومنهج التّأويل اللّغويّ الّذي يبحث عن معنى الخطاب بمساعدة اللّغة.

2. منهج التّأويل النّفسيّ الّذي يعتمد على بيوغرافيا المؤلّف ، حياته الفكريّة والعامة والدّوافع والحوافز الّتي دفعته للتّعبير والكتابة، فهو يموقع النّصّ في سياق حياة المؤلّف، وفي السّياق التّاريخيّ الّذي ينتمي إليه. [33] فكلّ من المنهج اللّغويّ والنّفسيّ القائم على بيوغرافيا المؤلّف يساعد على إنتاج المعنى كما بلوره المؤلّف نفسه.

في سياق ذي صلة يقول "**إيكو Eco**":"هناك حالة يستحب فيها استحضار قصدية المؤلّف. إنّها تلك الّتي يكون فيها المؤلّف ما يزال على قيد الحياة، حيث يقوم النّقّاد بتأويل نصّه. في هذه الحالة سيكون مفيدا جدّا مساءلة

المؤلّف إلى أيّ مدى كان واعيا، باعتباره مؤلّفا محسوسا،بمجمل التّأويلات الّتي تعطى لنصّه، وذلك من أجل تبيين الاختلافات بين قصديّة المؤلّف وقصديّة النّصّ." [34]فهناك حالات في نظر "**إيكو Eco**"يكون فيها التّعرّف على نوايا المؤلّف ومقاصده أمرا في غاية الأهمية، فإذا ما تطابقت أو تقاربت مقاصد النّصّ وتأويلاته مع مقاصد المؤلّف فهي مقبولة، وإذا ما تباينت بونا كبيرا واشتطت فهي مرفوضة.

وقد تطرّق "**روبرت شولز Robert Scholes** " إلى هذا النّوع من التّأويل الّذي يُؤْثِر دور المؤلّف في النّصّ مستشهدا برأي "**دونالد هيرش Eric Donald Hirsch**"ومدعّما له في الوقت آنه قائلا:" إنّنا لا يمكننا أن نتحدّث عن تأويل محدّد ما لم نفترض سلفا قصدا للمؤلّف يوجد ذلك التّأويل." [35] يمكن لمقصدية المؤلّف أن تكون سندا في عملية التّأويل وموجّهة لها.

2. التّأويل المفارق: يتوخى الكشف عن الدّلالة الّتي يقصدها النّصّ، أي التّركيز على المعنى الّذي يتضمّنه النّصّ بعيدا عن سياق مؤلّفه، فدلالات النّصّ متعدّدة ومقاصد النّصّ مفارقة لمقاصد المؤلّف وغير مطابقة لها، ويتفرّع هذا التّأويل استنادا إلى طبيعة هذه التّعدّديّة إلى نوعين هما: التّأويل المتناهي، والتّأويل اللاّمتناهي.

أ. التّأويل المتناهي :ينطلق من مسلمة تعدّديّة دلالات النّصّ، لكن هذه التّعدّديّة محدودة ولا تعني اللاّنهائية، لأنّ "التّأويل يخضع لقوانين واستراتيجيات نصّيّة، توجّه هذه التّعدّديّة نحو مسارات تأويليّة محتملة ومسوغة نظريّا... ولا يتعلّق الأمر بكبت القوة الدّلاليّة لهذه التّعدّديّة، من خلال فرض معنى أصلي أحادي، بل باستراتيجية بناء التّأويل لموضوعه، في سيرورة سيميائية تنتهي بتفضيل وترسيخ مدلول محتمل في سياق معيّن. "[36] فالتّأويل ها هنا محكوم بقوانين تضبطه، ومعايير توجّهه ، منها ما هو متعلّق بالقارئ والمتمثلة في الموسوعة المعرفيّة لديه، ومنها ما هو متعلّق بالنّصّ كالإرغامات اللّسانيّة والثّقافيّة، هذه الأخيرة الّتي جعلها "**إيكو Eco**" ضوابط للتأويل في قوله:" قد أقرأ نصّا لأستلهم من تأمّلا ذاتيا.أما إذا أردت تأويل هذا النّصّ، فعلي أن أحترم خلفيته الثّقافيّة واللّسانيّة"[37] وخلفية النّصّ الثّقافيّة واللّسانيّة ما هي إلا خلفية مؤلّفه،وكأنّي بـ"**إيكو Eco**" هنا – دون إقرار صريح منه – يدعو إلى استحضار المؤلّف وسياقاته الخارجية الّتي تركها في النّصّ.

ويقترح "**إيكو Eco**" في مقام آخر أنه ثمّة إمكانية ثالثة يمكنها أن تساعد العمليّة التّأويليّة وهي دور قصد النّصّ الّذي يتوسّط قصد المؤلّف الّذي يكون غير ذي جدوى في هذه العملية، وقصد القارئ الّذي قد يسوق النّصّ بقراءة تستجيب لغايات هذا القارئ وتخدم أغراضه. [38] لأنّ النّصّ حسب "**إيكو Eco**" " لا يقول ما اعتقد القارئ أنه قرأه، ربّما كان منساقا في ذلك وراء هواه ومزاجه.فما بين قصديّة الكاتب الصّعبة الإدراك، وبين قصديّة القارئ، هناك القصديّة الشّفافة للنّصّ الّتي تدحض كلّ تأويل هشّ." [39] يتّضح من هذا القول أنّ كلّ تأويل لا يعتمد على قصديّة النّصّ فهو هشّ في نظر "**إيكو Eco**".

إذن "فالأثر الأدبي ليس ذا معنى واحد تقتصر القراءة على اكتشافه كما أنّه ليس منفتحا مطلقا لشتى القراءات بحيث يقبل أيّ تأويل يوضع له." [40] فما بين القراءة الأحادية المعنى والقراءة المنفتحة انفتاحا مطلقا يوجد القراءة المتعدّدة المعتدلة التّأويل.

ب . التّأويل اللاّمتناهي :

أمّا في التّأويل اللاّمتناهي فهو الآخر ينطلق من التّعدّديّة ولكنّها غير محدودة " وبالتّالي فإنّ رهان التّأويل مفتوح على مغامرة اللاّنهائية، فلا وجود لحدود أو قواعد يستند إليها التّأويل، سوى رغبات المؤوّل الّذي ينظر إلى النّصّ على أنّه نسيج من العلامات واللاّتحديدات، لا توقّف انفجارها الدّلاليّ أيّة تخوم. "[41] يصبح التّأويل على هذه الحال عندما يطلق العنان للقارئ وتعطى له السّلطة المطلقة في قراءة النّصّ كيف يشاء، أليس "**تودوروفTodorov**" من قال إنّ النّصّ "هو نزهة يقوم فيها المؤلّف بوضع الكلّمات ليأتي القراء بالمعنى." [42] أيّ معنى يضعه القارئ، إذا كانت هذه الكلّمات تحمل إرثا ثقافيا وحضاريا، ونسقا لسانيا لا يمكن للقارئ العبث به؟

وعلى منوال "**تودوروفTodorov**"سار "**بول فاليري Paul Valéry**" حين قال:" ليس من معنى حقيقي لنص ما"[43] وهذا القول فيه غلوّ وتطرّف حيث إنّ كلّ المعاني المحتملة تصبح مقبولة.يوّجّه هذا القول القراءة إلى اتجاهين: **الاتّجاه الأوّل**: قراءة تتيح للقارئ التّصرّف بالنّصّ وفق نزواته وما يحلو له، بيد أنّ" التّجربة التّأويليّة إصغاء لصوت الآخر وليست إذن نزوة أو توجّها شخصيّا، أو خدمة لنّص مفرد أو، إعلاء لصوت كاتب معين، أو تحقيقا لمهارة أو شهرة أو ما شابه ذلك." [44] أما **الاتّجاه الثّاني** فهو قراءة تخوّل للقارئ إطلاق تأويلات لا متناهية عن نصّ ما. في حين إنّ "التّأويل خدمة للّغة وليس خدمة لهدف فرديّ أو إشباع عاطفة خاصّة، التّأويل إشباع لحاسة الانتماء للّغة." [45]. لا فائدة من التّأويل الّذي لا يخدم اللّغة والنّصّ، فكلّ تأويل يخرج عنهما هو تأويل مشتطّ باطل.

ويعد "**جاك دريدا Jacques Derrida** " زعيم التّفكيكيّة أبرز أنصار التّأويل اللاّمتناهي وأكثرهم تطرّفا فيه، و جوهر التّفكيك حسبه هو غياب المركز الثّابت للنّصّ، أي غياب المعنى الّذي يمكن أن يقال : إنّ النّصّ يحمله. فالتّفكيكيّة الآن لا تتحدّث عن تعدّد القراءات للنّصّ الواحد كما فعلت البنيويّة، بل تُفرِط حتّى تذهب إلى لا نهائية القراءات في ظلّ غياب مركزيّة النّصّ، ومقصدية المؤلّف، لتحلّ محلّها مقصديّة جديدة هي مقصديّة القارئ وحده. [46] فقد طوّر التّفكيكيون وعلى رأسهم "**جاك دريدا Jacques Derrida** " مبدأ انتفاء القصديّة من المؤلّف وظلال السّياق إلى فوضى التّفسير المتمرّد على فضاء التّأويل "فقصد المؤلّف غير موجود في النّصّ والنّصّ نفسه لا وجود، وفي وجود ذلك الفراغ الجديد الّذي جاء مع موت المؤلّف وغياب النّصّ تصبح قراءة القارئ هي الحضور الوحيدة لا يوجد نصّ مغلق ولا قراءة نهائية، بل توجد نصوص بعدد قرّاء النّصّ الواحد، ومن ثمّ تصبح كلّ قراءة نصًّا جديداً مبدعاً"[47] هكذا رفض زعماء التّفكيك النّظام اللّغويّ للنّصّ – الّذي يقوم عليه تصوّر البنيوية– في تحقيق المعنى وانتقلوا إلى قدرة القارئ على تحقيق المعنى الّذي يراه في رؤى لا نهائيّة عند كلّ قراءة جديدة للنّصوص. وهو انتقال من اللاّمعنى إلى اللاّنهائية فيه، مادام التّفكيك أعطى سلطة لا حدّ لها للقارئ.[48]ولهذا فإنّ "القول بأنّ كلّ قراءة هي إساءة قراءة، يعني أيضا أنّ كلّ قراءة للنّصّ قراءة صحيحة إلى أن تفكّك القراءة نفسها بنفسها، أو تجيء قراءة أخرى تفكّكها لتصبح إساءة قراءة." [49] كلّ قراءة حسب التّفكيك هي فكّ لقراءة أخرى وإساءة إليها. لأنّ التّفكيك ينسف جميع القواعد والقوانين، ويعطي المدلول حرية اللّعب الكامل منفصلا عن الدّال، ويبيح للقارئ أن يفسّر العلامات بالمعنى الّذي يشاء. [50]وهكذا فالمعنى في القراءة التّفكيكيّة يظلّ ملتبسا دائما، لأنّ العلاقة بين الدّال والمدلول قائمة على التّشكيك. وهو(المعنى) دائم التّفكّك والغياب لصالح معنى آخر في سلسلة لا تنتهي من التّأويلات والتّفسيرات. [51] على هذا الأساس يبقى المعنى دائم التّأجيل والإرجاء بفضل لعبة الدّوال باللّغة. وعليه نقول إنّ التّفكيكيّة تقوم على فكرة التّطبيق السّيميائيّ اللاّمحدود وتصرّح بتأويلات متعسّفة متطرّفة[52] لا يمكن من خلالها الوصول إلى المعنى أبدا.

لم يقف تعسّف التّأويل وشططه عند هذا الحدّ، بل وصل به الأمر إلى حدّ ممارسة العنف على تأويل آخر حسب "**ميشال فوكو Michel Foucault** " إذ:" لا يوجد موضوع من موضوعات التّأويل إلاّ وقد أوّل من قبل، بحيث تقوم علاقة التّأويل على عنف بقدر ما هي علاقة توضيح وكشف. ومن هنا لا يكتفي التّأويل بالكشف عن خفايا مادة التّأويل الّتي تمنح بشكلّ سلبي وانفعالي، بل يستحوذ التّأويل بعنف على تأويل آخر سابق عليه، فيقلبه لكي ينزل عليه ضربات عنيفة." [53] لم يعد التّأويل يريد مقاربة النّصّ في المعنى، بل غدا محو للتّأويل السّابق وتسفيه له. وبعبارة أخرى أنّ الجيل الّذي يتلو يرفض اعتقادات الجيل الّذي سبقه. ومن ثمّ فإنّ نصّه الجديد مخالف للنّصّ القديم كلّ المخالفة والأخطر من ذلك، أنّ الحاصل إثر كلّ تأويل للنّصّ، أنّ الدّين الجديد غير الدّين، والقيم غير القيم وغيرها من التّسفيهات والمخالفات. [54] ولم يصبح التّأويل إلا عنف يمارس على الخطاب، حتّى ينطقه بالمسكوت عنه، وتحوّلت القراءة الموحدة إلى قراءة مزدوجة، وغدا التّأويل في حاجة إلى الانفصال عن النّصّ، والتّباعد عنه، لا التّوحد به ، والتّماهي معه. [55] ولم تعد القراءة سوى إبداء عنف معين إزاء النّصّ المقروء، أو خيانة مناسبة النّصّ. [56] وقد تحدث "**مارتن هايدجر Martin Heidegger**" أيضا على هذا العنف الّذي لا مفرّ منه في كلّ تأويل الّذي ينبغي بالضّرورة فيه استعمال العنف لكي ينتزع ممّا تقوله الكلّمات ما تريد قوله. [57] وهذا هو الشّطط بعينه.

خاتمة

عود على بدء، إذا كان التّأويل هو عمل الفكر الّذي يسعى إلى فكّ المعنى المخبوء تحت المعنى الظّاهر، فثمّة كلام كثير في تعدّد القراءات، وشططها بعيداً عن حقيقة النّصّ دون قيد أو شرط حتّى تضحى كلّ محاولة، مهما كانت غير معقولة مندرجة في إطار التّعدّد، فبعدما عملت البنيويّة على قتل المؤلّف وتغييبه عن النّصّ، وعلى تعديد المعنى، جاءت بعدها مناهج ما بعد البنيوية كالتّفكيكية الّتي وصلت إلى أقصى درجات تطرّفها حين منحت القارئ السّلطة المطلقة في اكتشاف المعنى وتفسير النّصّ دون أيّة تحفّظات أو ضوابط، إضافة إلى إشكالية لا نهائية المعنى واللّاتحديد واللّايقين.

وعليه نزعم أنّنا حاولنا تقديم تصوّر "**للنّصّ من إقصاء المؤلّف إلى شطط التّأويل**" ووجدنا أنّ:

- نزع السّلطة من المؤلّف والاختلاف في المعنى وفي التّأويل أمر يدعو إلى الحيطة والحذر لأنّ هذه الآراء والاختلافات ليست صادرة عن آراء وأفكار تتعلّق باللّغة والنّصّ ، بل عن عقائد وفلسفات وإيديولوجيات عن كلّ شيء: عن الإنسان والحياة والكون والإله والدّين وغيرها.
- لا يوجد معنى أحادي في النّصّ بل هو متعدّد، لكن لا يجب أن تسعى هذه التّعدّديّة إلى المواجهة وإقصاء الآخر.
- تعدّد المعاني قد يؤدي إلى ضعف مستوى الاستنتاجات والتّأويلات، وعدم الاعتراف من قبل الآخر بنتائج التّأويل.
- المعنى انتقل من التّعدّديّة في البنيوية إلى اللانهائيّة واللاّيقين في التّفكيكيّة لأنّها وليدة فكر شاذّ هجين صادر عن تصوّرات فكريّة وفنّيّة سقيمة.
- القراءة التّفكيكيّة هي تأويل مستمرّ لا ينتهي إلى يقين ولا يصل أبدا إلى المعنى القابع في قلب النّصّ.

- أصبح التّأويل استلاءً على النّصّ من قبل القارئ يفرغ فيه حمولته الأيديولوجية، وآراءه الفكرية، ويصبغ عليه المعاني الّتي تتوافق ونزواته ورغباته لأنّ المتلقّي/ القارئ لا يدخل عالم النّصّ مجردًا من النّوايا، أو كالصّفحة البيضاء، وإنّما يدخله مزوّدًا بأفكاره ونواياه الخاصة.
- المناهج النّقدية الغربية الحديثة والمعاصرة جرّأت كلّ أحد على التّفسير والتّأويل سواء أكان مؤهّلا أم غير مؤهّل بدعوى احترام القارئ وتقديره.
- إحلال قصدية القارئ محلّ قصدية المؤلّف إجحاف في حقّه، وشطط يبتعد عن حقيقة المعنى في النّصّ.
- انفتاح النّصّ على التّأويل اللاّمتناهي هو قتل للمؤلّف والنّصّ والقارئ دفعة واحدة.

الهوامش:

(1):ينظر عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النّصّ الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، دط، 1999، ص4.

(2):عبد الله الغذّامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط6، 2006، ص28.

(3):وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، سوريا،ط2، 2009، ص155.

(4):المرجع السابق، ص66.

(5):ميجان الرويلي– سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2003، ص242.

(6):رولان بارط ، درس السيميولوجيا، تر عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1993، ص82-83.

(7):رولان بارت ، نقد وحقيقة، تر منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سورية، ط1، 1994، ص17.

(8):المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9):رولان بارت ،هسهسة اللّغة، تر منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سورية، ط1، 1999، ص92.

(10):رولان بارت ، نقد وحقيقة ، ص15./ رولان بارط، درس السيميولوجيا، ص81.

(11):رولان بارط ، درس السيميولوجيا، ص82.

(12):المصدر السابق ، ص82.

(13):ينظر رولان بارت، نقد وحقيقة، ص20.

(14):ينظر حبيب مونسي،بارت... أسطورة النص والقارئ.. الانقلاب المرتجى... ، 05 أكتوبر 2018، موقع التواصل الاجتماعي –فيسبوك–

(15):المصدر السّابق، ص25.

(16):ينظر حبيب مونسي، بأي منطق يفكر رولان بارت؟، 03 أكتوبر 2018، موقع التواصل الاجتماعي –فيسبوك–

(17):رولان بارط ، درس السيميولوجيا، ص86.

(18):المصدر السّابق، ص85.

(19):ينظر وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث ،ص154.

(20):المرجع نفسه ،ص226.

(21):حسين خمري،سرديات النقد في تحليل آليات النقد المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط2011،1،ص96 -97.

(22):موسى ربابعة، موت المؤلف وآفاق التّأويل، مجلة علامات، ج58، م15، ديسمبر 2005، ص44.

(23):أمبرتو إيكو، التّأويل والتّأويل المفرط، تر ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، دط، 1992، ص197.

(24):محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر،منشورات ضفاف، بيروت،لبنان،ط1، 2015، ص35.

(25):مصطفى ناصف، نظرية التّأويل ، تر ناصر الحلواني، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، مارس 2000، ص5.

(26):موسى ربابعة، موت المؤلف وآفاق التّأويل، مجلة علامات، ج58، م15، ديسمبر 2005، ص53.

(27):رولان بارط ، درس السيميولوجيا، ص82.

(28):رونان ماكدونالد ، موت الناقد، تر فخري صالح، دار العين للنشر،القاهرة، مصر، ط1، 2014، ص21.

(29):ينظر محمد بوعزة، استراتيجية التّأويل من النّصيّة إلى التّفكيكية،منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر،ط1، 2011، ص117.

(30):ينظر عبد الحميد هيمة، القراءة التّأويلية الآليات والحدود،الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللّغة والأدب، 26و27 أكتوبر 2011، جامعة قاصدي مرابح، ورقلة ، ص8.

(31):ينظر بول ريكور، نظرية التّأويل الخطاب وفائض المعنى، تر سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص15.

(32):أمبرتو إيكو، التّأويل بين السيميائيات والتّفكيكية، تر سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004، ص92-93.

(33): ينظر محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، ص36.

(34):أمبرتو إيكو، التّأويل بين السيميائيات والتّفكيكية، تر سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004، ص92-93.

(35):روبرت شولز، السيمياء والتّأويل ، تر سعيد الغانمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان، ط1994،1،ص30.

(36):محمد بوعزة، استراتيجية التّأويل من النّصيّة إلى التّفكيكية، ص57-58.

(37):أمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكية، ص87.

(38):أمبرتو إيكو، التّأويل والتّأويل المفرط، ص33./ أمبرتو إيكو، التّأويل بين السيميائيات والتّفكيكية، ص87.

(39):أمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكية، ص100.

(40):عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النّصّ الأدبي، ص67.

(41):محمد بوعزة، استراتيجية التّأويل من النّصيّة إلى التّفكيكية، ص58.

(42):أمبرتو إيكو، التّأويل بين السيميائيات والتّفكيكية، ص22.

(43):مراد بوزكور، التّأويل والتّفكيك عند أمبرتو إيكو بين فعل القراءة وفعالية القارئ، مجلة الخطاب، العدد23، ص48.

(44):مصطفى ناصف، نظرية التّأويل، ص177.

(45):المصدر نفسه، ص197.

(46):ينظر وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث ، ص189 وما بعدها.

(47):عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التّفكيك، عالم المعرفة، الكويت، أفريل 1998، ص51.

(48):ينظر وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث ، ص192.

(49):المرجع السّابق، ص274.

(50):المرجع نفسه، ص280.

(51):ينظر وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث ، ص200.

(52):ينظر أمبرتو إيكو، التّأويل والتّأويل المفرط، ص21.

(53):سعيد علوش. هيرمونتيك النثر الأدبي، دار الكتاب اللبناني،ط1، 1985،ص6.

(54):ينظر حبيب مونسي،فلسفة المكان في الشّعر العربيّ قراءة موضوعاتية جمالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2001، ص107.

(55):ينظر بول ريكور، نظرية التّأويل الخطاب وفائض المعنى، ص15.

(56):ينظر وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث ، ص199.

(57):ينظر محمد خير البقاعي، أفاق التناصية المفهوم والمنظور،جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، جانفي 2013، ص212.